رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي

عندما كتب بولس إلى موطنه

تأليف: دفيد روبر

❋ فيلبي ١: ١ و٢

الكل يحب استلام الرسائل، وبالأخص رسائل ألأحباء. عندما كنتُ وأسرتي باستراليا، كنا ننتظر مجيء ساعي البريد بفارغ الصبر. وبعد ما يجيء، نسرع إلى صندوق البريد لنرى ما إذا وصلتنا أخبار من الأسرة والاصدقاء من الولايات المتحدة. يبدأ هذا الدرس دراسة لـ«رسالة المحبة» التي كتبها بولس إلى الكنيسة التي كانت في فيلبي.

لقد سمينا هذه الدراسة بـ«المسيحية المفرحة» وهذا الدرس بالذات: «عندما كتب بولس إلى موطنه». في هذا الدرس التمهيدي سنتعامل بصفة رئيسية مع الآيتين الأوليتين من هذه الرسالة:

> بُولُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ عَبْدَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،
> إِلَى جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ
> فِي فَيلِبِّي، مَعَ أَسَاقِفَةِ وَشَمَامِسَةِ: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ
> مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (الآيتان ١ و٢).

وأيضاً سنلقي نظرة شاملة سريعة على هذه الرسالة. وسيقدم هذا لخلفية هذه السلسلة من الدروس.

الحقائق

من إحدى الطرق التي يمكن التعامل بها مع الآيتين ١ و٢ هو أن نفحص الكلمات والعبارات بالترتيب. أول كلمة هي «بُولُسُ»[١]. كان هذا رسول عظيم للأمم، ربما كان سجيناً في روما في وقت كتابة هذه الرسالة. ذكر بولس انه كان سجيناً (١: ١٣) مع احتمال إعدامه(١: ٢١-٢٤). يبدو أن المكان المرجح هو روما، لأن بولس قال أن سجنه أصبح «ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ ...» (١: ١٣). وأيضاً أرسل تحية مِنَ «الَّذِينَ مِنْ بَيْتِ قَيْصَرَ» (٤: ٢٢).

تواصل الآية ١ بالعبارة «وتيموثاوس». كان تيموثاوس زميل بولس في رحلاته، وكان مبشراً شاباً معه عندما كتب هذه الرسالة. إن إضافة اسم تيموثاوس هنا لا يعني انه مؤلف مشارك في كتابة هذه الرسالة. استخدم بولس صيغة المتكلم المفرد على صفحات هذه الرسالة (راجع ١: ٣، ٦-٩، ١٢). بل ربما كان بولس الرسول يضع التوكيد على أن تيموثاوس كان زميله في العمل – وقد يشير هذا إلى انه كان يملي هذه الكلمات على تيموثاوس، بينما كان تيموثاوس يكتبها.

وصف بولس نفسه وتيموثاوس على انهما «عَبْدَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». إن استخدام كلمة «عبد» هنا يدل على عدة حقَائق: (١) يسوع يملكهما. قد أُشْتُرِيا بثمن (١ كورنثوس ٧: ٢٣). (٢) كانا تحت سيطرة

[١] عند تقديم هذا الدرس في فصل دراسي، يمكنك أن تطلب استجابة من المستمعين لكل من هذه الكلمات والعبارات. على سبيل المثال، بعد أن تقرأ أول كلمة {التي هي «بولس»} قد تطلب من الطلاب أن يتحدثوا عمن يعرفونه عن بولس.

المسيح وقد تعهدا بانفسهما لعمل مشيئته. (٣) كانا خادمان قيمان حسب استعمال هذه الكلمة في الترجمة السبعينية (أي الترجمة اليونانية لكتاب العهد القديم). هذه واحدة من الرسائل القليلة التي لم يصف فيها بولس نفسه بانه رسول، لانه ربما لم تكن هناك حاجة ليثبت انه كان رسولاً لكنيسة فيلبي.

كتبت هذه الرسالة إلى «جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ فِي فِيلِبِّي». كلمة «قديسين» لا تعني «الذين بلغوا مرحلة الكمال المعصوم». وردت الكلمة اليونانية («هاغيوس ἅγιος») المترجمة هنا إلى «قديسين» بصيغة الجمع المجرور (وهي الكلمة التي تأتي منها كلمة «قداسة»)، ومعناها «أُفْرِز». تشير هذه الكلمة إلى «شعب الله المقدس»، أي الذين «أُفْرِزوا» لخدمة الله. وكان هذا يشير إلى جميع المسيحيين الذين في تلك المدينة.

وُصِف هؤلاء القديسين بـ«الَّذِينَ فِي فِيلِبِّي». كانت فيلبي مدينة في مكدونية[٢]. مع أن فيلبي لم تكن مدينة كبيرة إلا انها كانت ذات أهمية تاريخية. استخدم فيليب المكدوني الذهب من هذا الإقليم لتحقيق مقاصده في توحيد اليونان. وقد أعاد تسمية هذه المدينة إلى «فيلبي» نسبةً له. وبعد عدة سنين وقعت بقربها إحدى أعظم المعارك في التاريخ، عندما انتصر أوكتافيان وأنطوني على بروتوس وكاسيوس، وسيطرا على الأمبراطورية الرومانية. جُعلَت فيلبي مستعمرة رومانية ذكرى لذلك النصر (راجع أعمال ١٦: ١٢). ولكن في العهد الحديث لا تُذكر فيلبي بصفة أساسية بسب تاريخها العلماني فحسب، بل لأن مبشراً اسمه بولس كان قد ذهب إلى هناك بالإنجيل (أعمال ١٦: ٦-٤٠).

بعد ذلك ورد ذكر قادة الكنيسة المحلية: «أَسَاقِفَةٍ وَشَمَامِسَةٍ». الكلمة اليونانية «إبيسكوبوس ἐπίσκοπος» وهي كلمة مركبة من «إبي ἐπὶ» و«سكوبوس σκοπός»؛ ومعناها «نُظَّار».

إن كلمة «نُظَّار» هي إحدى التسميات المعطاة لشيوخ الكنيسة (راجع أعمال ٢٠: ١٧ و٢٨؛ تيطس ١: ٥، ٧؛ ١ بطرس ٥: ١ و٢). تشير كلمة «نُظَّار» إلى إطار مسؤولية الشيوخ: انهم يشرفون على كل شيء يختص بالكنيسة المحلية، وخاصة نفوس الذين هم تحت رعايتهم (راجع ١ بطرس ٥: ٢؛ عبرانيين ١٣: ١٧).

كلمة «شمامسة» تعني حرفياً «خُدَّام». وقد ترجمت من الكلمة اليونانية «دياكونوس διάκονος». وتشير في هذا السياق إلى خُدَّام خاصين في الكنيسة (راجع ١ تيموثاوس ٣: ٨-١٣) الذين يعملون مع الشيوخ وتحت إشرافهم.

هذه هي الرسالة الوحيدة التي أشار فيها بولس إلى قادة الكنيسة في تحيته. ربما يكون قد فعل هذا هنا لأن أحد أهدافه كانت أن يشكر أهل فيلبي من أجل إعانتهم المالية له، وكقاعدة عامة، قادة الكنيسة هم المسؤولون عن إستلام الأموال وتوظيفها.

انتهت التحية بالكلمات التالية: «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». هذه كانت تحية بولس المعتادة. توجد هذه الكلمات نَفسها في رسائله إلى أهل رومية وإلى أهل غلاطية وإلى أهل أفسس وإلى أهل كورنثوس. ووردت باختلاف طفيف في رسائله الأخرى. تجمع هذه التحية بين التحية اليونانية بالـ«نعمة» مع التحية العبرانية بالـ«سلام» («شالوم שָׁלוֹם»).

الإحساس

الحديث السابق عن الحقائق يشبه الطريقة التي قد يتم بها التعامل مع الآيتين الأوليتين في التفسير. ولكني أقول أن الإنصراف من كلمات بولس الإفتتاحية بهذه السهولة يعني أنه سيفوت عليك الأحساس والعواطف خلف كلامه. كتب بولس في ١: ٧ ما يلي: «كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، لأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي، فِي وُثُقِي، وَفِي الْمُحَامَاةِ عَنِ الإِنْجِيلِ وَتَثْبِيتِهِ، أَنْتُمُ الَّذِينَ جَمِيعُكُمْ شُرَكَائِي فِي النِّعْمَةِ».

العواطف

كانت كنيسة فيلبي ذات علاقة خاصة لبولس. أسماها أفون مالون بـ«حبيبة بولس»[٣]. أشار بولس

[٢] عندما تذكر مختلف المدن يمكنك أن تبين موقها على خريطة مناطق الكتاب المقدس. (راجع الخريطة على صفحة ٣٧).

[٣] أفيون مالون في شريط فيديو بعنوان «The Book of Philippians».

الرسول في الأصحاح ٤ إلى أعضاء تلك الكنيسة بقوله: «... إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ وَالْمُشْتَاقَ إِلَيْهِمْ، يَا سُرُورِي وَإِكْلِيلِي ...» (٤: ١). في هذه الرسالة لم يكن بولس الشخص المنطقي الجيد أو اللاهوتي المتعمق أو المدافع عن الإيمان المتحمس. بل كان إنسان يكتب من قلبه لأصدقاءه. لهذا وضعتُ عنوان هذا الدرس «عندما كتب بولس إلى موطنه».

عند إستخدامي لكلمة «موطنه» لم أقصد أن بولس كان قد تربى في فيلبي. وُلِد بولس في طرسوس وتعلم في أورشليم (أعمال ٢٢: ٣). ولكن بعد إهتداءه أصبح مواطناً للعالم بأسره. وسافر على نطاق واسع – وكانت «دياره» المكان الذي به إخوته وأخواته في المسيح. أني اشعر بالقرابة مع بولس بهذا الخصوص. كان والديَّ يرتحلان كثيراً عندما كنتُ يافعا. عندما يسألني الناس «من أين أنت؟» أقول أحياناً: «ولدتُ في بانهاندل بولاية أوكلاهوما وتربيتُ في الركن الجنوبي الغربي من ولاية أوكلاهوما، وتخرجتُ من الثانوية العامة في وسط أوكلاهوما، وذهبتُ إلى الكلية في غرب ولاية تكساس، وقد عملتُ واعظاً في وسط وشرق أوكلاهوما، وأستراليا وشمال تكساس وأركنساس. ولكن الديار هو المكان الذي يقيم به هو والأسرة والأصدقاء».

الذكريات

إذا كان صحيح أن «يكون الموطن حيث يكون القلب»[٤]، لكان بولس قد دعى فيلبي «موطنه» . عندما بدأ بولس كتابة رسالته إلى القديسين في فيلبي، أتصور ان ذلك عالق بذهنه عبر السنين.

ربما بدأ التفكير بالرحلة التبشيرية الثانية، عندما كرر زيارته للكنائس برفقة سيلا. (راجع أعمال ١٥: ٣٦-٤١). انضم تيموثاوس الشاب إليهما في لسترة أو دربة (أعمال ١٦: ١-٥). كان بولس قد خطط على الاستمرار في الطريق الى روما ماراً بأفسس عاصمة مقاطعة أسيا الرومانية، ولكن الروح منعه (أعمال ١٦: ٦). ومن ثم قرر أن يسافر شمالاً إلى بثينية، ولكن أغلقت طريقه مرة أخرى (أعمال ١٦: ٧). وانتهى به الأمر في ترواس، وهو ميناء عند بحر ايجة (١٦: ٨). وهناك جاءته الدعوة إلى مكدونية، وكانت تلك بحسب رؤيا لرجل مكدوني يقول له: «اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ وَأَعِنَّا!» (أعمال ١٦: ٩). انضم لوقا الطبيب إلى تلك المجموعة الصغيرة وأبحرت إلى نيابوليس (١٦: ١٠ و١١). ومن هناك سافروا لمسافة ١٠ أميال براً إلى داخل البلاد إلى فيلبي (أعمال ١٦: ١٢)[٥].

كان عليهم أن يدخلوا المدينة عن طريق اغنيشيا «Egnatian Way» شارع روما المزدحم بالمسافرين والذي كان واحداً من الطرق التجارية الرئيسية بين الأجزاء الشرقية والغربية من الأمبراطورية الرومانية. إذ كانت فيلبي مستعمرة رومانية، سعت إلى أن تكون روما مصغرة. عندما دخل بولس تلك المدينة، دخل بذلك إلى منطقة جديدة للتبشير بالإنجيل. لقد استخدم صيغ مثل «أَوَّل يوم» و«بَدَاءَة الإِنْجِيل» (فيلبي ١: ٥؛ ٤: ١٥).

كان بولس بصفة عامة يبدأ خدمته في مكان جديد بالذهاب إلى المجمع؛ ولكن ربما لم يحتوي سكان فيلبي على عشره من اليهود الرجال، وهذا هو العدد المطلوب لبناء مجمع. وأخيراً وجد بولس الرسول جماعة من النساء تعبدن خارج المدينة (أعمال ١٦: ١٣). فعلمهن وعمد امرأة اسمها ليدية وأهل بيتها (أعمال ١٦: ١٤ و١٥)، مؤسساً بذلك كنيسة في فيلبي.

بعد ذلك بزمن قليل، تم القبض على بولس لأنه طرد روح شرير من جارية (أعمال ١٦: ١٦-٢١). تم ضربه وسيلا وألقيا في سجن (١٦: ٢٢-٢٤). وفي منتصف الليل حدث زلزال عظيم وفك قيود بولس والمسجونين الآخرين (أعمال ١٦: ٢٥ و٢٦). عملت الأحداث التي وقعت في ذلك الوقت على تلطيف قلب السجان وأتاحت الفرصة لتبشيره بالإنجيل وتعميده وأهل بيته (أعمال ١٦: ٢٧-٣٤). هكذا ربحت الكنيسة الصغيرة في فيلبي

---

[٤] فليني، وقد ورد إقتباسه هذا في كتاب لويس كوبلاند بعنوان «Popular Quotations for All Uses» الطبعة المنقحة (سنة ١٩٦١)، صفحة ٢٢٨.

[٥] نعلم أن لوقا انضم إلى هذه المجموعة في ترواس لأن روايته في كتاب أعمال الرسل تتحول عند تلك النقطة من صيغة الغائب إلى (تأمل في أعمال ١٦: ٨) إلى صيغة المتكلم (تأمل في أعمال ١٦: ١٠ و١١).

أعضاءاً جددا.

في صباح اليوم التالي أطلق المسؤولون بالمدينة سراح بولس وسيلا، وطلبوا منهما أن يغادرا (أعمال ١٦: ٣٥-٣٩؛ راجع ١ تسالونيكي ٢: ٢). بعد فترة وجيزة من الاجتماع مع المسيحيين بمدينة فيلبي، غادر بولس وسيلا وتيموثاوس، تاركين خلفهم الطبيب لوقا ليستمر بالخدمة هناك[٦].

لم يكن من الممكن أن يبقى بولس في فيلبي لمدة أكثر من أسابيع قليلة. ومع ذلك كان في قلبه مكان خاص للمسيحيين الذين هناك. بعد ما غادرهم ظل على إتصال معهم، وهم على اتصال معه. ذهب بولس من فيلبي إلى تسالونيكي ليبشر بالإنجيل (أعمال ١٧: ١). وهناك أرسل له أهل فيلبي إعانة (فيلبي ٤: ١٥ و١٦). بعد ذلك عمل بولس لفترة وجيزة في بيرية وأثينا ومن ثم ذهب إلى كورنثوس (أعمال ١٧: ١٠ و١٥؛١٨: ١). قدم له الإخوة في فيلبي دعم مرة أخرى (٢ كورنثوس ١١: ٩). استمر على هذا النمط لسنين (راجع فيلبي ١: ٥).

كان بولس يبذل جهداً خاصاً كلما استطاع زيارة إخوته وأخواته في فيلبي. سافر بولس في رحلته التبشيرية الثالثة إلى مكدونية حيث تقع فيلبي بعد ما قضى ما يقارب ثلاث سنوات في أفسس (أعمال ٢٠: ١ و٢؛ ٢ كورنثوس ٢: ١٣؛ ٧: ٥). وفي نهاية رحلته التبشيرية الثالثة ترك كورنثوس واتجه نحو أورشليم. ولكن بدلاً من أن يركب سفينة ليبحر مباشرة إلى أورشليم، ذهب شمالاً إلى فيلبي أولاً (أعمال ٢٠: ٣ و٦)، حيث انضم لوقا الطبيب إلى فريقه مرة أخرى.

عندما وصل بولس إلى أورشليم، تم القبض عليه (أعمال ٢١: ١٥ إلى ٢٦: ٣٢). وبعد سجنه لبضع سنوات (أعمال٢٤: ٢٧)، أُرْسِل إلى روما للمثول أمام قيصر (أعمال ٢٧: ١ إلى ٢٨: ٣١). وبينما كان ينتظر محاكمته، كتب الرسائل المعروفة بـ«رسائل السجن». ومن بينها تلك الرسائل إلى كنيسة كانت عزيزة جداً عليه، وهي: الكنيسة التي في فيلبي. («رسائل السجن» الأخرى والرسالة إلى أهل أفسس، وإلى أهل كولوسي، وإلى فليمون؛ راجع أفسس ٦: ٢٠؛ كولوسي ٤: ٣؛ فليمون ١٠).

الدافع

المحبة هي دافع كافي لـ{كتابة} أي رسالة؛ ولكننا عندما نقرأ صفحات هذه الرسالة، نستخلص أن بولس كان يفكر بعدة أشياء. منها المساعدة التي أرسلتها فيلبي له عندما كان في روما. تحدث بولس في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ٥ عن «{مُشَارَكتهم} فِي الإِنْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَى الآنَ». وأشار في ٤: ١٤ إلى مَشَارَكتهم معه. يتَّضح انهم كانوا قد فقدوا الاتصال معه إلى حين (٤: ١٠)؛ ولكنهم عندما عرفوا أين كان وماذا كانت احتياجاته، أرسلوا إليه واحداً منهم، وهو أَبَفْرُودِتُسَ. جاء أَبَفْرُودِتُسَ بمساعدة من فيلبي؛ وأكثر من ذلك، انه خدم بولس الرسول شخصياً (راجع ٢: ٢٥). قال بولس لأهل فيلبي انه استلم «مِنْ أَبَفْرُودِتُسَ الأَشْيَاءَ الَّتِي» أرسلوها إليه «نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ الله» (٤: ١٨). واحد من أهداف بولس لكتابة هذه الرسالة هو لكي يقول «شكراً» للمسيحيين الذين في فيلبي.

سبب آخر لكتابة هذه الرسالة يتعلق بأَبَفْرُودِتُسَ نفسه. بينما كان أَبَفْرُودِتُسَ في روما أصيب بمرض شديد إلى حد الموت (٢: ٢٥، ٢٧، ٣٠). وصل خبر هذا المرض إلى فيلبي فاضطرب المسيحيون هناك (٢: ٢٦). هدأ بولس بالهم بالكتابة إليهم وبإرسال أَبَفْرُودِتُسَ إليهم مرة أخرى (٢: ٢٥ و٢٨). ربما أخذ أَبَفْرُودِتُسَ هذه الرسالة إلى فيلبي عندما رجع إلى هناك.

كان لبولس أيضاً أهتمام آخر بالكنيسة التي في فيلبي. كان قد تلقى معاملة سيئة في تلك المدينة، ومن الجليء أن تلك المعاملة السيئة قد استمرت. وناشد أهل فيلبي ألا يرتعبوا من {خصومهم} (١: ٢٨). إذ كتب قائلا: «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ. إِذْ لَكُمُ الْجِهَادُ عَيْنُهُ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، وَالآنَ تَسْمَعُونَ فِيَّ» (١: ٢٩ و٣٠). من إحدى الطرق التي حاول بولس تشجيعهم بها هي

---

[٦] لقد توصلنا إلى هذه الخلاصة لأن لوقا عند سرد هذه القصة رجع إلى استخدام صيغة الغائب عندما غادر بولس فيلبي (تأمل في أعمال ١٧: ١). لم يرجع لوقا إلى صيغة المتكلم مرة أخرى حتى رجع بولس ماراً بفيلبي مرة أخرى (تأمل في أعمال ٢٠: ٦).

بان يخبرهم عن خططه. كان يريد إرسال تيموثاوس إليهم قريباً (٢: ١٩-٢٣). كان يرجو أيضاً الإفراج عنه ومجيئه إليهم شخصياً (١: ٢٦؛ ٢: ٢٤). عبر بولس في إحدى «رسائل السجن» عن ثقته بانه كان سيُفرج عنه قريباً (راجع فليمون ٢٢).

في غضون ذلك، أراد أن يرسل إليهم خبر ليشجعهم ويعزيهم. وكعادته، انتهز بولس الفرصة ليمدحم (راجع ١: ٣-٧)، ويوصيهم (راجع ٢: ٥)، ويحذرهم (راجع ٣: ٢)، ويصححهم (راجع ٤: ٢).

بما يختص بالتصحيح، يعتقد بعض المفسرين انه كانت بكنيسة فيلبي مشاكل روحية كبيرة. أوصى بولس المسيحيين هناك أن يفتكروا فكراً واحداً (٢: ٢)، ويعتبر المفسرون هذا كإثبات بان تلك الكنيسة كانت مليئة بالإنقسامات. علاوة على ذلك، قال بولس لقُرَّاءه: «افْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ» (٢: ١٤)؛ فاستخلص البعض أن جميع الأعضاء {في تلك الكنيسة} كانوا يتذمرون. ولكن المواضيع المتعددة في هذه الرسالة قد تكون مفيدة، بل وهي مفيدة عند توجيهها لأي كنيسة في أي مكان - بغض النظر عما إذا كانت هناك مشاكل كبيرة في تلك المنطقة أو لا.

ذكر بولس مشاكل قليلة كانت تواجه كنيسة فيلبي: أختلافات بين أختين (٤: ٢)، تحذير الكنيسة بأن تحترس من المعلمين الكذبة (٣: ٢، ١٨، ١٩). ومع ذلك أصر على أن بولس لم يكتب هذه الرسالة إلى أهل فيلبي لتصحيح عدد من المشاكل – كما فعل في الرسالتين الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس. لكي نجد الدافع الخارجي لاهتمام بولس بالخلافات والشقاقات، لا حاجة لنا أن ننظر إلى ما وراء المدينة التي كان بولس يكتب منها (راجع فيلبي ١: ١٥ و١٦). لم يكن بولس يرد أن تختبر كنيسته العزيزة في فيلبي المشاكل التي كانت في كنيسة روما.

هذه الرسالة تبث الثقة والفرح والشركة والوحدة. انها رسالة محبة.

الشكل

لا بد انك قد أدركت الآن المفهوم العام لرسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي. قبل ان نترك الملاحظات التمهيدية هذه لننظر إلى شكل هذه الرسالة.

رسالة

أولاً، انها رسالة – وبما انها رسالة، فانها تحتوي على الميزات العادية لرسائل القرن الأول. في ما يلي القليل من الميزات الشائعة:

* هوية الكاتب: «بُولُسُ وَتِيمُوثَاوُسُ عَبْدَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ...» (١: ١).
* هوية الذين كُتِبَت إليهم الرسالة: «... إِلَى جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ فِي فِيلِبِّي، مَعَ أَسَاقِفَةٍ وَشَمَامِسَةَ» (١: ١).
* التحية: «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (الآية ٢: ١).
* الشكر: «أَشْكُرُ إِلهِي عِنْدَ كُلِّ ذِكْرِي إِيَّاكُمْ دَائِمًا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِي، مُقَدِّمًا الطِّلْبَةَ لأَجْلِ جَمِيعِكُمْ بِفَرَحٍ، لِسَبَبِ مُشَارَكَتِكُمْ فِي الإِنْجِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَى الآنَ» (١: ٣-٥؛ بالإضافة إلى الآيات ٦-١١).
* الخبر: نص الرسالة (١: ١٢ إلى ٤: ٢٣). ملاحظة: كان من المعتاد ختام نص الرسالة بكلمات بركة وتحيات أضافية. وقد فعل بولس هذا (٤: ٢١-٢٣).

قد تتساءل لماذا ورد اسم الكاتب في بداية الرسالة بدلاً من نهايتها حيث نضع الاسم في يومنا هذا. كانت الرسائل تُكْتَب في لفائف. وتوضع المعلومات الوثيقة الصلة في مقدمة اللفيفة حتى عندما يبدأ المستلمين بفتحها يعرفون الكاتب، ولماذا كتب.

المحتوى

رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي ليست مجرد رسالة، بل رسالة شخصية، وبهذا تنتقل من فكرة إلى فكرة بدون ترتيب واضح، وبدون اهتمام كبير بالمقطع الإنتقالي. «مثل دردشة، يتغير موضوع الحديث

دون سابق إشارة كما في الحديث عن معلومات بين صديقين»[٧]. إذن يجب أن تكون أية عناوين رئيسية لهذه الرسالة مبدعة إلى حد ما. طرح جي مورغن السؤال: «من يحلل رسالة محبة؟»[٨]. ومع ذلك، تم تقديم عدة خطوط عريضة لهذه الرسالةفي ما يلي استخدام كلاسيكي من قبل أفون مالون[٩].

الأصحاح ١: المسيح هدفنا (الآية ٢١).
الأصحاح ٢: المسيح نموذجنا (الآية ٥).
الأصحاح ٣: المسيح جائزتنا (الآيتان ١٣ و١٤).
الأصحاح ٤: المسيح تدبيرنا (راجع الآيتان ١٣ و١٩).

بما أن «الفكر» فكرة رئيسية في هذا الكتاب (كما سنرى)، استخدم أحد المفسرين هذا الموضوع كملخص العناوين[١٠]:

الأصحاح ١: فكر واحد.
الأصحاح ٢: فكر خاضع.
الأصحاح ٣: فكر روحي.
الأصحاح ٤: فكر آمن.

قد تكون أفضل الطرق للتعامل مع هذه الرسالة هي بذكر محتوياتها:

(١) تحية بولس (١: ١ و٢).
(٢) شكر وصلاة من أجل أهل فيلبي (١: ٣-١١).
(٣) التبصر في سجن بولس – وأوجاعه بصفة عامة (١: ١٢-٣٠).
(٤) تشجيع من أجل تعزيز الوحدة بالتواضع والطاعة – كما كان المسيح (٢: ١-١٨). هذا جزء لاهوتي عظيم في هذه الرسالة.
(٥) خطة مستقبلية لإرسال تيموثاوس، وخطة عاجلة لإرسال أَبَفْرُودِتُسَ (٢: ١٩-٣٠).
(٦) تحذيرات عن المعلمين الكذبة، وبولس نفسه كمثال جيد يمكن إتباعه (٣: ١-٢١).
(٧) نصائح متفرقة – للوحدة والفرح والتفكير السليم (٤: ١-٩). يعتبر الكثيرون منا أن هذه أحد أقسام هذه الرسالة الأكثر مغزى.
(٨) الشكر الذي عبر عنه من أجل عطيتهم، بتعليم عن القناعة (٤: ١٠-١٩).
(٩) الخلاصة–بتحيات شخصية وبركات (٤: ٢٠-٢٣).

الأفكار الرئيسية

بالرغم على ما يبدو من قلة التنظيم الداخلي لهذه الرسالة، إلا انها تملك عدداً من الأفكار الرئيسية المتكررة. منها الـ«شركة» أو «مشاركة» (راجع ١: ٥؛ ٢: ١ و٢٥؛ ٤: ٣ و١٥). وأخرى هي وضع التوكيد على الفكر: عند قراءتك لهذه الرسالة، انتبه لكلمات مثل «نفس»، «فكر»، «ذكرى». هناك أيضاً فلسفة كامنة تتعلق بالاضطهاد والآلام.

إحدى الأفكار الرئيسية السائدة هي «فرح». تسمى الرسالة إلى أهل فيلبي بـ«نشيد الفرح»[١١]. وردت كلمتي «فرح» و«فكر» و«افرح» خمسة عشر مرة في هذه الرسالة. في ما يلي مقطع نموذجي:

> افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا. لِيَكُنْ حِلْمُكُمْ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ. اَلرَّبُّ قَرِيبٌ. لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ. وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (٤: ٤-٧).

هناك كلمات أخرى في هذه الرسالة ذات صلة

---

[٧] جيرالد أف هاوثورن في تفسيره بعنوان «Word Biblical Commentary» المجلد ٤٣، الرسالة إلى أهل فيلبي «Philippians». تحرير دفيد هابارد وغلين دبليو باكر، xlviii.

[٨] جي كامبل مورغن في كتابه بعنوان «Living Messages of the Books of the Bible»، صفحة ٢٢٩.

[٩] مالون.

[١٠] وارن ويرسبي في تفسيره بعنوان «The Bible Exposition Commentary» المجلد الثاني، صفحة ٣٦.

[١١] تشارلز آر إيردمان في تفسيره بعنوان «The Epistle of Paul to the Philippians»، صفحة ٩.

بفرح، مثل «شكر» و«سلام» و«مكتفي». لهذا أسمي دراستنا لهذه الرسالة «المسيحية المفرحة».

أرجو العلم أن هذا الفرح ليس مجرد نتيجة لـ«سلوك فكري إيجابي»[١٢]. بل توضح هذه الرسالة أن فرحنا متأصل في المسيح. فكرة «المسيح وإياه مصلوباً» تتخلل هذه الرسالة:

* ورد الاسم «مسيح» وحده سبع عشرة مرة (راجع ١: ١٠).
* وورد الاسم «يسوع» وحده مرة واحدة (٢: ١٠).
* وردت الكلمتان «المسيح يسوع» أو«يسوع المسيح» (بدون إضافة كلمة «رب») ست عشرة مرة (راجع ١: ١).
* وردت كلمة «رب» وحدها تسع مرات (راجع ١: ١٤).
* وردت الكلمتان «الرب يسوع» (بدون كلمة «المسيح» مرة واحدة (٢: ١٩).
* وردت التسمية الكاملة «الرب يسوع المسيح» أو «يسوع المسيح ربي» أربع مرات (راجع ١: ٢). بلغت هذه التسمية ذروها في ٣: ٢٠ حيث استهلها بولس بكلمة «مخلصنا»[١٣].
* هناك أيضاً تلميحات إلى موت يسوع (راجع ٣: ١٠، ١٨)، بالإضافة إلى تسع إشارات إلى الإنجيل (راجع ١: ٥)[١٤].

إحدى العبارات الرئيسية في هذه الرسالة هي «في المسيح» أو مثيلتها. ورد استخدام هذا التعبير ست عشرة مرة على الأقل (راجع ١:١ و٢٦؛ ٤: ٤). كانت عبارة «في المسيح» من إحدى التعابير المفضلة لدى بولس (راجع رومية ٣: ٢٤؛ ٦: ١١؛ ٨: ١؛ ٩: ١). وقد استخدمها للتعبير عن العلاقة التي لنا مع الرب– علاقة خاصة جداً، وحميمة جداً بحيث يمكن التعبير بها فقط باننا «فيه». يحيا المسيحي «في المسيح» كما يحيا الطير في الهواء، وكالسمك في الماء، وكشجرة مغروسة في الأرض. يختلف المسيحي عن الذين حوله لأنه دائماً يدري دائماً بحضور المسيح!

الخلاصة

قلتُ لوالدتي البالغة من العمر ثماني وثمانين سنة قبل وقت ليس ببعيد أن مشروع الكتابة القادم لي سيكون تفسير الرسالة إلى أهل فيلبي. أضاء وجهها وقالت: «أني أحب هذه الرسالة!» ثم تأملت قليلاً وأضافت: «ولكني لا أعمل دائماً بما تعلمه». وهذا يجعلني أفكر بنصوص من هذه الرسالة تدينني:

* «افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا!» (٤: ٤).
* «افْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ» (٢: ١٤).
* «لَيْسَ أَنِّي أَقُولُ مِنْ جِهَةِ احْتِيَاجٍ، فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ» (٤: ١١).

ستكون دراسة هذه الرسالة تحدي بالنسبة لي – وقد تكون لك هكذا ايضا. ولكني أتطلع إليها لأن فيها مع ذلك التحدي تعزية عجيبة. لا بد أن الدراسة عن «المسيحية المفرحة» شيء مثير!

---

[١٢] بينما هناك قيمة في السعى إلى مثل هذا السلوك، إلا أن الكثير مما كُتِب عن هذا الموضوع سطحي وأناني. يوضع التوكيد عادة على الإكتاف الذاتي. ولكن المسيحي غير مكتفي ذاتياً، بل هو وافي بالله.

[١٣] كلمة «المسيح» العربية هي نظير الكلمة «مسيا» العبرانية ومعناها «الممسوح». كانت هذه الكلمة تستخدم بصفة أساسية من قبل اليهود للإشارة إلى الملوك. كلمة «يسوع» هي الصيغة العربية للكلمة العبرانية «يشوع יְהוֹשֻׁעַ»، وهي صيغة مختصرة للإسم «يهوشوع κύριος» ومعناها «الرب يخلص». وكلمة الرب مترجمة من الكلمة اليونانية «خاريوس » وتعني «رب» أو «حاكم» أو «سيد».

[١٤] يمكن الإدلاء بنصوص إضافية من الرسالة إلى أهل فيلبي لوضع التوكيد على علاقتنا مع المسيح. قيل اننا «فيه» و«له» و«معه»، نعمل أيضاً أشياء نيابة عنه، انتبه إلى مثل هذه المصطلحات عند قراءتك لهذه الرسالة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠